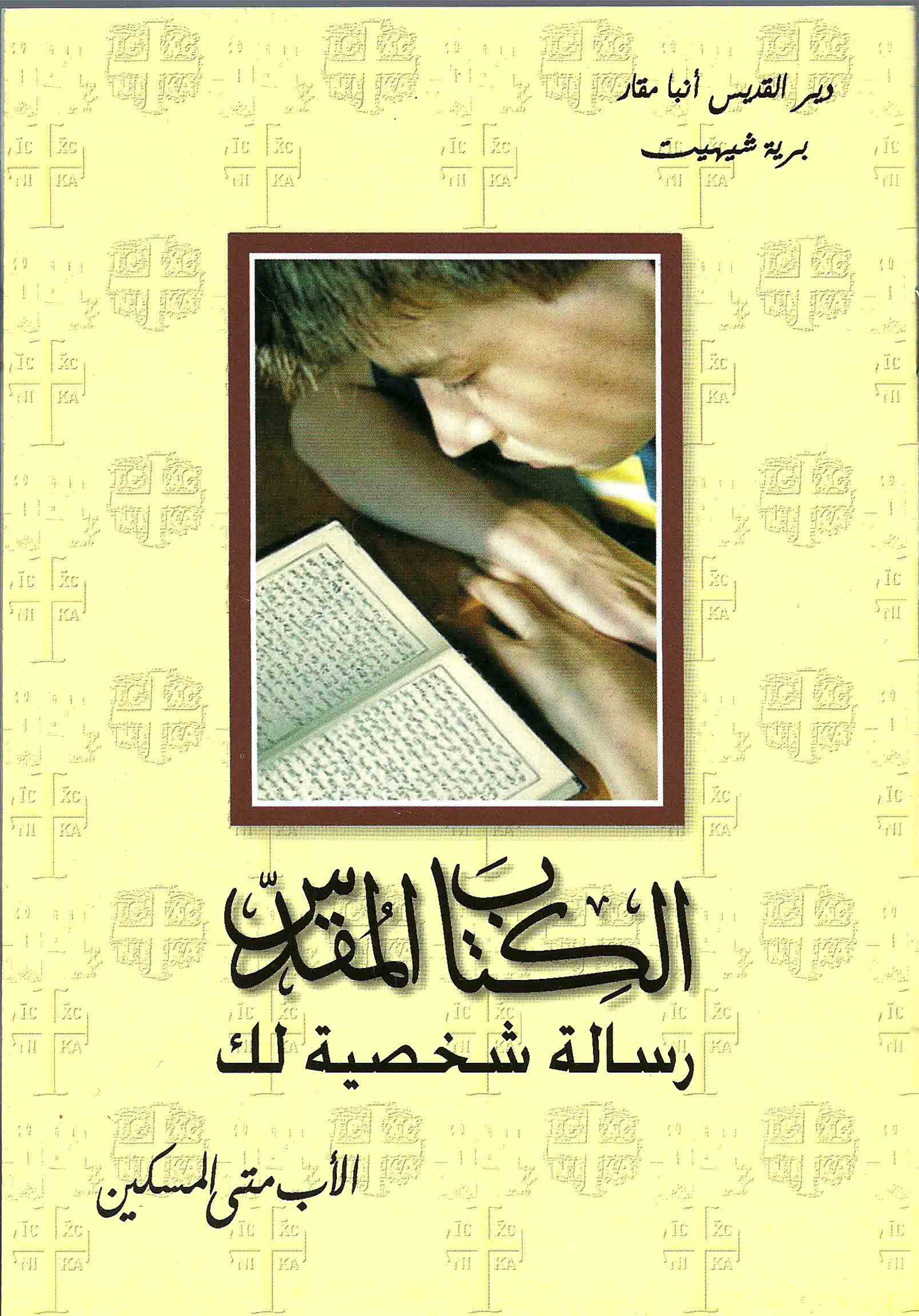


دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت
الكتاب المقدس
رسالة شخصية لك
الأب متى المسكين

دير القديس أبو مقار

برية شهيت

الكتاب المقدس

رسالة شخصية لك

الأب متى المسكين

- ١ -

هل دراسة الكتاب المقدس تُقدِّس؟

على مدى العصور علمنا علم اليقين أن كل الذين وهبوا حياتهم لدراسة الكتاب المقدس دراسة **خاصة للنفس** بتأمل وصلاة واتضاع، انطبع الكتاب المقدس علي حياتهم وأفكارهم وسلوكهم، وبقيت سيرتهم مدى التاريخ نوراً وبركة للعالم كله!! فما هو سر ذلك؟ وكيف ندخل هذا المجال الآمن المضمون لتقديس الحياة؟؟

أبتدئ معك أيها القارئ من أول لحظة انفتح فيها هذا الينبوع السري للتقديس، حيث أشعل المسيح بصلاته التوسلية لدى الآب (في إنجيل يوحنا أصحاح ١٧) نقطة الابتداء فأنار الطريق كله لدى بني سرِّه، السائرين على طريق الخلاص: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن **تحفظهم من الشرير**، ليسوا من العالم كما أني أنا لستُ من العالم: **قدِّسْهم في حقك، كلامك هو حقٌّ**» (يو١٧: ١٥-١٧).

هذا هو منهج القداسة الواضح الصريح المبسَّط الذي افتتحه المسيح بهذا التوسل لدى الآب، لتكون «**الكلمة**» **واسطة التقديس** الذي يعمل بها الروح القدس في نفس كل مَن تتلمذ للرب على مدى الدهور!

كل مَن اكتشف هذا الطريق: الكتاب المقدس، وسار فيه، انسكبت فيه قداسة المسيح بكل هدوء بواسطة الكلمة «روحٍ وحياة» (يو٦: ٦٣)، «**لأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً**

مقدَّسين في الحق» (يو١٧: ١٩). المسيح هنا ينضح من قداسته التي أكملها وأعلنها في تجسده بكل ملئها لتكون منبعاً لنا لا ينضب إلى الأبد من خلال **الكلمة** (**أي الحق**). هنا في قول المسيح، يقرن بصورة سريَّة للغاية بين تقديس كلمة الآب في الكتاب المقدس «قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق» وبين التقديس المنقول لنا كتركة - أي ميراث بلا جهد - من تجسده وحياته الشخصية «**لأجلهم أقدس أنا ذاتي** ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق».

هكذا يتضح لنا الكتاب المقدس كواسطة تقديس ذات فعلين: **الفعل الأول** كلمة الآب في الكتاب المقدس التي عبَّر عنها أنها «**الحق**»، **والفعل الثاني** حياة المسيح المستترة في الإنجيل التي عبَّر عنها أنها «**ذاته**».

وواضح جداً من سياق هذه الصلاة العميقة (يو١٧) أن المسيح يفرِّق بين «**ذاته**» وبين «كلام الآب» الذي يقرنه في موضع سابق من هذه الصلاة، أي يقرن «**كلام الآب**» بإعلان **اسم الآب** «أنا أظهرتُ **اسمك** للناس... وقد حفظوا **كلامك**» (عدد٦)، وبهذا يتضح أن المسيح يركِّز بكل وضوح على الكلمة باعتبارها كشفاً لسر الآب واسمه، أي علاقة الله بالناس كآب، من خلال أو بواسطة استعلان الابن.

هكذا أصبحت كل قراءة للكتاب بتقوى وخشوع وتعبُّد وقلب مفتوح أصبحت مصدراً لانسكاب سرِّي للتقديس بواسطة الآب والابن الذي يتغلغل الفكر والضمير والشعور والإرادة والسلوك يوماً فيوماً لبناء النفس بناء جديداً يلتحم مع المسيح في شركة سرية مع

الله، غير مُدرَكة، كعشْرة حياة بواسطة الكتاب المقدس أقرب ما تكون إلى عِشْرة زوجَين متحابين حباً أبدياً!!

هكذا كل من يقرأ الكتاب المقدس بعهديه بوعي وقلب مفتوح، يدخل شيئاً فشيئاً في سر الآب عن طريق إعلان المسيح حيث يصبح كلام المسيح مدخلاً لسر الآب للحفظ والتقديس. لأنَّ مِنْ «**كلام الآب**» الذي عبَّر عنه المسيح أنه «**حق**»: «كلامك هو حق» يتقبَّل القارئ اسم الآب - أي شخصه - كحق حافظ ومعين ومقدِّس: «**أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك**»، ومن شخص المسيح يتقبل القارئ تقديس ذات المسيح «**أُقدِّس أنا ذاتي ليكونوا** مقدسين».

وكيف ذلك؟

فهل قراءة العهد القديم، حتى سفر التكوين مثلاً أو اللاويين أو الملوك أو الأنبياء، تقدِّس الإنسان باعتبارها «**حق**»؟

هنا يلزمنا أن نفتح أمام القارئ منهجاً سرياً لقراءة العهد القديم يوصِّله بالفعل إلي حالة **تقديس**. ولكن هنا أيضاً يلزمنا أن نفرِّق أمام ذهن القارئ بين قراءتين هامتين للكتاب المقدس:

القراءة الأولى:

قراءة موضوعية حيث يستغرق ذهن القارئ في معاني الآيات والكلمات، وشرح ذلك على مستوى التاريخ والچيولوچيا وتاريخ الطبيعة والجغرافيا وعلم الإنسان والنبات، كلها في الكشف والتعبير

عن الحق العام وبالتالي عن الله في حكمته وعلمه وقدرته الفائقة، وهنا يتصدى لهذه القراءة - أي القراءة الموضوعية بعلومها، علوم أخرى نقدية بعضها على مستوى الكتاب المقدس قائمة على بحوث علمية جريئة تمزق الكتاب المقدس وأصالته تمزيقاً، وبعضها ضد الكتاب المقدس، أي إلحادية صرْف، وهذه تسفه من الكتاب وتحطّ من قيمته وتشكك في صدقه بلَ وفي وجود أي حق على الإطلاق غير المادة الجامدة كأصل ومنبع كل شيء!!

القراءة الثانية:

وهي القراءة الشخصية، أي أن يقرأ الإنسان وكأن الكلام يخصه هو ويخص حياته! بإيجابية سهلة وفكر يستلهم الحق من وراء كل آية، لا الحق العام الموضوعي بل الحق الخاص الذي يخاطب ضميره وسلوكه.

فمثلاً بينما القارئ الموضوعي منشغل ومنفعل أشد الانفعال في معنى **النور الوارد في** (تك١: ٣،٤)، ثم بعد خلقة النور يعود الكتاب فيقول إن الله فصل بين النور والظلمة، وهنا يحتار ويرتبك: هل هذا يجوز وكيف يمكن؟ ويستغيث العقل بالمنطق والعلوم والفلك، وهيهات... نقول وبينما القارئ الموضوعي مشتت الفكر وممزق العقل والضمير؛ نجد القارئ الذي يقرأه قراءة شخصية بحثاً عن الحق، لا الحق العام في ذاته بل الحق الذي ينير الطريق أمامه معتبراً «كلام الآب» هو عديل اسمه للحفظ والتقديس باستعلان سر المسيح داخل الإنسان لا خارجه! يبدأ يتأمل في النور الذي قال الله عنه «ليكن

نور» كيف أن هذا النور بعينه خلقه الله في قلب الإنسان عامة، وهو مصدر المعرفة والإلهام والحياة لكل بني الإنسان، مع أن الظلمة لا تزال أيضاً تغشى قلب الإنسان كما يغشاه النور، والصراع بينهما مستمر.

ولكن بتأمُّل الإنسان اللحظة التي فيها نجح الله بالفعل في الفصل بين النور والظلمة في قلب الإنسان وحَسَم هذا الصراع الأبدي (بمجيء الرب يسوع)، ينتقل المعنى في الحال من الحق العام إلى الحق الذي يخص قداسة الإنسان في الصميم ويخص خلاصه وحياته ومستقبله وكل سعادته. وإن مجرد الوقوف عند هذا التأمل فترة، كفيلٌ أن يوقظ النفس على حقيقتها. وهكذا تتحول قراءة كلمات العهد القديم أو العهد الجديد على السواء إلى وعي روحي عملي يزداد يوماً بعد يوم حتى يبلغ حالة تقديس: «قدِّسهم في حقك. كلامك هو حقٌّ».

يلاحَظ هنا في هذا التأمل بخصوص وجود النور والظلمة والفصل بينهما أن مجيء المسيح إلى العالم بصفته «النور الحقيقي» الذي لم تستطع الظلمة أن تدركه (هذا المجيء هو العهد الجديد)، هو الذي شرح لنا المعنى السري في وجود النور بعد الظلمة في العهد القديم، ثم شرح لنا المعنى الأكثر تعقيداً وصعوبة في إمكانية الفصل بين النور والظلمة في سفر التكوين إنما على مستوى روحي سري.

هكذا بهدوء وعمق، يقف الإنسان عند شرح الآية الأولى من الإصحاح الأول لسفر التكوين، ويسأل: هل فعلاً قال الله في نفسي: «ليكن نور»؟ وهل فصل الله فعلاً بين النور والظلمة في أعماقي؟

هنا القراءة تتغلغل ضمير الإنسان، وكلمة الله تكشف وتدين وتصحح وتقدِّس. ولا نغالي إذا قلنا إن حصيلة التأمل الشخصي في هذه الآية وغيرها بهذه الطريقة، كفيل أن يغير حياة الإنسان في مدة وجيزة لا يتصورها العقل. هذا هو معنى قول المسيح في صلاته مخاطباً الآب «كلامك هو **حق**». أي أن الكتاب ينطق في داخل الإنسان بالحق ويقوده إلى الحق ويثبِّته في الحق ثم ينميه في الحق!! وهذا هو - بالنهاية - «**قدِّسهم في حقق، كلامك هو حق**».

يلاحَظ أن المسيح قال هذا، كخطاب الوداع لتلاميذه قبل الصلب مباشرة، فهو هنا يستودعنا سرّاً من أعمق أسرار عمله الخلاصي، وهو ينبهنا إلى أهمية «**كلام الآب**» الذي اضطلع المسيح بشرحه وإعلانه ليكون واسطة لتقديس الإنسان.

فتجسُّد المسيح وحياته وكلامه وأعماله والفداء الذي أكمله (العهد الجديد) هو تكميل وإعلان «كلام الآب» و«اسم الآب» (الذي ظهر بميلاد الابن) لتقديس الإنسان!

المسيح هنا يجعل من كلامه وكلام الآب وحدة في الحق لتمجيد الآب والابن لتقديس الإنسان، تماماً كما يجعل من اسمه (**الابن** الوحيد) إعلانا وتمجيداً لاسم الله **الآب** الذي به يحفظ الإنسان من الشرير (هنا استعلان سر الثالوث صار قوة ضاربة لسلطان الشرير). المسيح يركِّز في خطابه الوداعي على «**الكلمة**» و«**الاسم**» كقوتين قادرتين على حفظ الإنسان وتقديسه: كلمة الآب التي استُعلنت بكلمة الابن، الكتاب المقدس ككلٍّ بعهديه القديم والجديد، كلام المسيح الذي هو روح وحياة؛ واسم الآب الذي استُعلن باسم الابن

حتى يصيرا للإنسان مصدراً ثابتاً «للتقديس»، و«**للحفظ من الشرير**» بل والاتحاد معاً **في الآب والابن** حسب صلاة المسيح للآب.

إذن، فوصايا الله على مدى الكتاب وعلى ضوء استعلان شخص المسيح لم تُعطَ على مدى العصور للبحث والدراسة في حد ذاتهما. فالبحث الموضوعي المطلق والدراسة الموضوعية بعيداً عن **حالة الشخص القارئ نفسه** تُباعدان جداً بين قصد الله من الكتاب كله وبين القارئ: قصد الله أن تكون وصاياه وكلماته «**حقاً**» كاشفاً لضمير الإنسان، ثم حقاً مُبكِّتاً، ثم حقاً موجِّهاً وبانياً ومُضيئاً لطريق الإنسان: «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي!!» (مز١١٩:١٠٥).

وكيف ذلك؟

كلام الله ووصاياه ليست تسجيلاً زمنياً أو تاريخياً لحوادث أو استعلانات تمت لم يَعُد لها نفع في واقعنا اليوم؛ بل هي بحد ذاتها - أي كلام الله ووصاياه بأي صورة وفي أي سفر - إنما هي تحوي **استعلاناً لله ذاته!**: استعلان مشيئته، استعلان رضاه، استعلان حبه، ثم استعلان قضائه ودينونته!

واستعلان الله بهذه الصورة المسجَّلة في الكتاب يحوي قوة كامنة، يحوي روحاً وحياة «الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦:٦٣)، هو بحد ذاته يعمل ككشاف ماهر لأعماق الإنسان ونياته، وهو بشبه المقياس يقيس مقدر انحراف الإنسان عن الحق، عن الأمانة، عن الشرف، عن الطهارة، عن المحبة، وله سلطان الردع في

الضمير، لذلك فهو قادر على إعادة التفكير وتصحيح المسار بقوة حادة قاصمة لا تعانَد «صعبٌ عليك أن تَرْفُس مناخس» (أع٩: ٥) (أي: «صعبٌ عليك أن ترفس نِصْل السكين»)!!

وهكذا أصبحت قراءة الكتاب المقدس بمنهج الوعي المفتوح للحق الكائن في الكلمة في أي سفر هو بحد ذاته نوراً كشَّافاً يكشف أقصي خبايا النفس، نور استعلان الآب نفسه والابن داخل النفس، وهو قادر في الحال على التبكيت على كل خطية وعلى الإحساس بالدينونة.

لذلك أصبح الكتاب المقدس هو الحق الوحيد الثابت والمؤكد والمسجل بروح الله لكشف عِلاَّت النفس وأوجاعها، وردعها حتى إلى أعماق انحرافات اللاشعور.

لذلك، لولا الكتاب المقدس الذي حفظ الحق الإلهي مسجَّلاً بكل حركته وفاعليته «روح وحياة»، ما استطاع إنسان أن يكتشف خطيئة أو برّاً أو يستقر في أعماق نفسه إلى حقيقة نفسه بحضرة الله، ولا استطاع أحد أن يبني حياته وفق مشيئة الله بناءاً صحيحاً، ويثبت في النعمة ثبوتاً أكيداً كمن دخل في الحق الإلهي لميراث أبدي: «والآن أستودعكم يا إخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تَبْنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدَّسين» (أع٢٠: ٣٢).

لأن الكتاب المقدس نفسه الذي يبكِّتنا على كل خطية ودينونة يسجل لنا تسجيلاً حيّاً لحب الله من نحونا في شخص يسوع المسيح، ويسجل لنا كيف تمَّ خلاصنا وفداؤنا وكيف تبنَّانا وسكب روحه فينا، وهكذا كما يلقي في قلبنا بذرة الدينونة للتبكيت والندامة،

كذلك يلقي في قلبنا بذرة نعمته برجاء الخلاص للحياة الأبدية.

لذلك يستحيل أن نصل إلى **معرفة صحيحة** للخلاص الذي ورثناه في شخص يسوع المسيح بدون **كشف صحيح ودائم** لحالة النفس في الداخل. ثم يستحيل هذا وذاك، أي كشف النفس بصورة دائمة وقبول الخلاص الأبدي، بدون **الكتاب المقدس** أي بدون قراءة واعية دائبة مستمرة لاستقبال «**حق**» الآب «**وقداسة**» الابن الذي في الأسفار المقدسة لبناء النفس بناءاً صحيحاً.

أكتب هذا لأن في هذه الآونة تنتشر حركة في أنحاء العالم كله تعتمد على الاتصال المباشر بالروح القدس بدون الاهتمام الكافي بالكتاب المقدس كمصدر ثابت لحياة النفس كغذاء ودواء وبناء «**قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق**» (يو١٧:١٧)، بدون «**الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**» (يو٦:٦٣)، بدون «**أنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة** (العهد القديم) **القادرة أن تحكِّمك** (أي تعطيك حكمة) **للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح**» (٢تي٣:١٥-١٧).

رأيت وسمعت قوماً منهم يتكلمون عن الروح القدس وأثره فيهم بحرارة وانفعال وتهليل وصلاة، وكيف تغيرت حياتهم وصاروا صالحين وأصحاب مواهب، ثم انذهلتُ عندما سمعت أنهم لا يقرأون الكتاب المقدس للحفظ والتأمل اليومي، ومعرفتهم بالعهد القديم منعدمة ودرايتهم بالعهد الجديد ضئيلة كل الضآلة، يعتمدون على

الترتيل والتهليل لإنعاش حياتهم، ولكن في داخلهم فراغ مخيف ينذر بنكسة وشيكة بسبب غياب الكتاب المقدس كمصدر حي وفعَّال لبناء حياتهم «**وحِفْظِهم من الشرير**».

إنَّ أحْوَج إنسان للكتاب المقدس، بل وأقدر إنسان على الاكتساب منه هو الإنسان الذي دخل مجال التوبة، وابتدأ عمل الروح يظهر في حياته! لأن الثمر الذي سوف يجنيه من كلمة الله يصير حصيلة هائلة للشهادة للمسيح بل ولحماية الإنجيل ذاته من خلال بنائه اليومي لحياته هو، وتدقيقه في سلوكه وتصحيحه لأفكاره وتصوراته.

-٢-

الكتاب المقدس رسالة شخصية

توجد كتب علمية وتاريخية وأدبية تبحث عن الحق أو الحقيقة في كل صورها داخل الإنسان وخارجه، وتُلقي أضواءً على المعرفة بكل أنواعها فيما يخص الإنسان أو الحقيقة كلها، وهذه تناسب عقل الإنسان وتهدف إلى صحة جسده وتزيد من إدراكه وتُغني من تراثه الفكري والحضاري.

ولكن الكتاب المقدس ليس كذلك، ولا ينبغي أن ندخل إليه من هذا المدخل، كما سبق وقلنا في الفصل السابق[1]. فالكتاب المقدس رسالة شخصية من الله للإنسان مباشرة تهدف إلى خلاصه والارتقاء بروحه لتُعدَّهُ للحياة الفضلى، أي للحياة الأبدية.

وفي هذه الرسالة يوضح الله نفسه للإنسان بصورة شخصية خاصة جداً يكشف فيها عن قدراته الفائقة لتُضاف إلى ضعف الإنسان، وعن حبه الفائق ليمتلئ به في قلبه، وعن قداسته ليلبسها فيستر بها عريه، وعن إمكانياته الهائلة في الصفح والغفران والغسل والتطهير للدخول في حياة بنوَّة جديدة لله ليرتاح ضمير الإنسان بهذا الرجاء. ثم من خلال هذا الكشف العميق عن هذه الصفات الإلهية الفعالة المُحيية للإنسان يدعو الله الإنسان ويُهيِّئه للدخول معه في شركة حياة صادقة طاهرة، فلا يعود الإنسان تائهاً يتلمس الخلاص بعقله

(١) «هل دراسة الكتاب المقدس تُقدِّس؟» صفحة ٣.

وإمكانياته.

والشركة التي يدعو إليها الله ليست وهمية ولا هي بالكلام القائم على الإقناع البشري، بل أسَّسها المسيح بدمه. إنها شركة تقوم على العطاء والأخذ: الله فيها يعطي روحه، يعطي دمه، يعطي نفسه من خلال عطاياه ومواهبه؛ والإنسان يأخذ ليزداد ارتفاعاً فوق نفسه وتزداد إمكانياته في استيعاب أمور فائقة على إمكانياته، لأن هذا من صميم طبيعة عطايا القدير.

ولكن أعجب ما في هذه الشركة أن عطايا الله لا تتوقف على أخذ الإنسان، فالله يعطي مواهبه بالروح بلا حدود، بلا كيل ولا ميزان، حسب سخاء طبيعته الفائقة. لذلك أصبح الجهد كله متوقفاً على قدرة الإنسان في التصديق، ثم الأخذ، ثم الاستيعاب.

بهذا تنكشف وتتجدد طبيعة الكتاب المقدس أمامك أيها القارئ، فأنت حينما تقرب الكتاب المقدس لا ككتاب معرفة ولا علم إنما كرسالة من الله لك شخصياً، كصلة ميراث به حقوق مختومة بعهد الله، فلن تعود مجرد قارئ بل آخذاً ووارثاً. ولا يعود الكتاب المقدس كتاباً للقراءة للعلم فقط، بل صَكُّ ميراث ومفتاح خزائن لعطايا ومواهب إلهية، في كل عطية، مطبوعاً عليه اسم وختم الله وصورة شخصية ليسوع المسيح، صورة حية مهداة لك لتضعها في القلب إن كنت تصدق وتأخذ وتملك، فتحييك وتجعلك أكثر شبهاً لله وتحركك وتدفعك وتشجعك لتدخل إلى عمق أكثر في هذه الشركة، في البر، في القداسة، في الحق.

كل الذين دخلوا في هذه الدائرة - دائرة الرسالة الإلهية - أي

الكتاب المقدس، تعرَّفوا على الله وقبلوا منه دعوة دائمة للدخول إليه وانفتحت أمامهم خزانة عطايا الله ليأخذوا على قدر سعيهم في الأخذ، فاستوعبوا كل مقاصد الله، وتعرَّفوا على إرادته الكاملة المرضية من نحوهم، وقليلاً قليلاً إذ حلَّ الله في أحشائهم دون أن يدروا تغيَّر حالهم وتبدَّل شكلهم وتجدد ذهنهم وتقوَّوا من ضعفهم، وانطلقوا يبشرون بما رأوه وسمعوه وذاقوه، خبرات فوق خبرات، هكذا تحول الإنجيل فيهم من رسالة إلى خزانة إلى شهادة، ثم بشارة بحب الله الفائق.

ولقد تجمعت شهادات الذين ذاقوا الرب واختبروه في مجال الكتاب المقدس على مدى الأجيال حتى صارت هذه الشهادة بحد ذاتها جزءاً لا يتجزأ من صميم رسالة الإنجيل الذي يؤكد لنا ربحنا المضمون، وتحرِّضنا على دخول هذا المجال واثقين من النهاية قبل البداية!

بصمات الكلمة على القلب:

حينما تقرأ الكتاب المقدس، كرسالة خاصة لك آتية إليك من الله، بوعي روحي والقلب يكون مفتوحاً ومُستقْبلاً باستعداد الطاعة والفرح، تأخذ الكلمات مسارها إلى أعماقَ الضمير والوجدان الروحي، فتُحرِّك وتُشكِّل وتطبع تأثيرها الإلهي الفعَّال كبصمات حية مميزة لمشيئة الله ومسرته ينتعش لها الضمير وتسيل لها الدموع من فرط الانطباع المريح الذي تتركه الكلمة على الإرادة والضمير، فتصيغ النفس صياغة جديدة أكثر قُرباً وأكثر شَبَهاً لإرادة الله

ومسرته فتدفع الإنسان للشكر والاستزادة من التقدم نحو الله في نور الكلمة. وكأنما المسيح يمسك بيد الإنسان ويقوده ليعبر به مآزق الحياة وظلمات هذا الدهر حتى يوصله إلى قلب الله الآب.

صراع منهجين:

وهكذا إذا أخذنا الكلمة مأخذاً عاماً بالفكر الحر المطلق فقط، فإنها تحرك العقل للفحص والسؤال ثم الشك. ولكن إذا أخذناها مأخذاً شخصياً بالروح المنسحق - كما قلنا - كرسالة حية، فإنها تحرك القلب للتطهير والتقديس والنمو وكل تقوى وكل إيمان.

هذان المنهجان قائمان أمامك أيها القارئ، ولك أن تختار:

فإذا اخترت المنهج الأول دون الثاني، تتلقفك في الحال علوم الفحص والتحليل والنقد، وأخيراً ظلمة الشك.

أما إذا اخترت المنهج الثاني، فإنه تنبري لك خبرات الآباء والأنبياء والرسل والقديسين تُزكي لك سيرة القداسة وشهادة الروح في عمق الضمير لتبني عليها حياتك الجديدة بإيمان اختباري، فتستطيع أن تردَّ على كل تشككات الفكر وعلوم النقد والتحليل من إيمانك واختبارك.

ولكن أخطر الأمور أن يبدأ الإنسان بالمنهج الأول، لأنه سريعاً ما تنصدّ النفس عن علم لا عائد له ولا سند، وبهذا يصبح الكتاب المقدس ثقلاً على العقل وربما عدواً للضمير الذي لا يجد فيه راحته فيخافه ويحتقره ويتحاشاه، لأنه كلما اقترب منه يشعر باغترابه عن

الحق، وبالتالي يشعر ببعد الله عنه!

أما إذا توفر الإنسان في بدء حياته على المنهج الثاني فإنه سيختبر كيف تُقْبل النفس على الكتاب جائعة إليه، كخبز كل يوم ليومه، كلما أكلَتْ منه عادت إليه أشد جوعاً، وكلما ارتوت بمائه الحي زاد تعطُّشها نحو الله وانطفأ عطشها نحو العالم. وكلما كثر تطلعها القلبي نحو مصيرها الأبدي؛ كلما انطبع نور وجه الله عليها كختم منير دون أن تشعر هي بشيء، فيراها الناس مضيئة، بينما لا ترى هي من ذاتها إلا ضعفها المحصور في حب الله!! وحينئذ تستطيع النفس أن تواجه باتساعها واستنارتها وحبها كل تحديات علم العالم وتشكُّكه، وكل عنف عقل الإنسان عندما يضيق باتساع حب الله وتنازله في الكتاب المقدس.

إذن، فمشكلة تحدِّي العلم كمنهج يصارع العقل والمنطق والضمير عند تناول الكتاب المقدس هي مشكلة محلولة عندما يبدأ الإنسان بالروح لا بالحرف، بالخبرة قبل الدرس، بالرؤيا قبل السير، بالحب قبل التأديب.

-٣-

درجات دراسة الكتاب المقدس

سؤال وجواب:

سألني أحد الرهبان هذا السؤال:

- في أثناء قراءتي للكتاب المقدس مررتُ على طرق كثيرة تتجاذبني للقراءة فيه:

١- المقارنة الشديدة بين رجال وحوادث العهد القديم وبين المسيح، يكاد يكون كلمة كلمة وحادثة حادثة، تنساق فيها النفس بشوق ولذة وراء اكتشاف التطابق.

٢- تطبيق الكلام على النفس مباشرة فيكون من الله لي لألتصق به وينير حياتي ويكشف عيوبي. وهذا فيه لذة روحية عالية. ولكن تضيع فيه المقارنة السابقة.

٣- تطبيق الكلام على النفس مباشرة مع أخذ قوة الكلمة وفاعليتها من المسيح كمصدر ومن الأنبياء والرسل والقديسين كمَنْفَذَين ناجحين. وكأن الكلمة تأخذ مجراها لتحل فيَّ وتملكني.

٤- الالتفات إلى الشواهد تقود إلى موضوعات حية تتشعب في الإنجيل كله حيث فيها تتذوق النفس الحياة الأبدية والاتحاد بالله وتدخل إلى كنوز الله وملكوته، وفيها أنسى مواعيد الأكل والنوم. ولكن هذه الطريقة تحتاج إلى وقت كبير جداً جداً.

أحب كل هذه الطرق وأنساق فيها بدون التفات إلى الزمن أو أي

شيء. ولكن ما هو الأفضل بالنسبة لي؟ وهل ممكنٍ الجمع بينهما في قراءة روحية واحدة؟ مع ملاحظة أنني بطيء جداً، فلا أعرف السرعة في القراءة أو الصلاة... ولكن أحس من ورائها بنمو في الروح وبحب إلهي يزداد كل يوم.

الجواب:

كلِ قراءة من هذه القراءات ينفتح لها الذهن والوعي الروحي انفتاحاً خاصاً ويكون هذا الانفتاح متوقفاً على عوامل داخلية أساسية:

الدرجة الأولى: فعندما يكون **العقل نشيطاً** تبدأ المقارنات وفهم الظروف والملابسات وتَطَابُق المواقف والأحداث مع شدة وضوح ارتباط أعمال الله. وهذه لا تخلو من **منفعة ولذة ذهنية**، ولكنها تضعف على ممر الزمن؛ ولا يصيب الروح منها إلا القليل إذا لم توصِّل إلى الدرجة الثانية.

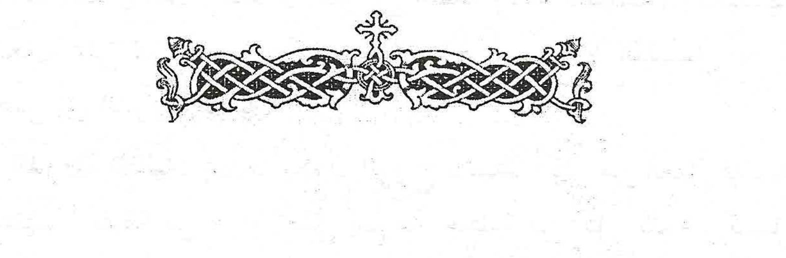
الدرجة الثانية: عندما يكون **الروح نشيطاً** أكثر من العقل فإنه يستلهم الحقيقة من وراء العقل بسرعة خاطفة من كل كلمة وكل حادثة دون تدخل كثير من العقل من حيث الربط والوصل والقياس... الخ. وهذا يُبْهر الوعي الروحي وينشِّط ويفرِّح الروح، ولكن يحتاجِ إلى المتابعة والمزيد، حتى ينفتح الوعيِ الروحي أكثر ويصير قادراً على الانفعال بالكلمة انفعالاً مباشراً.

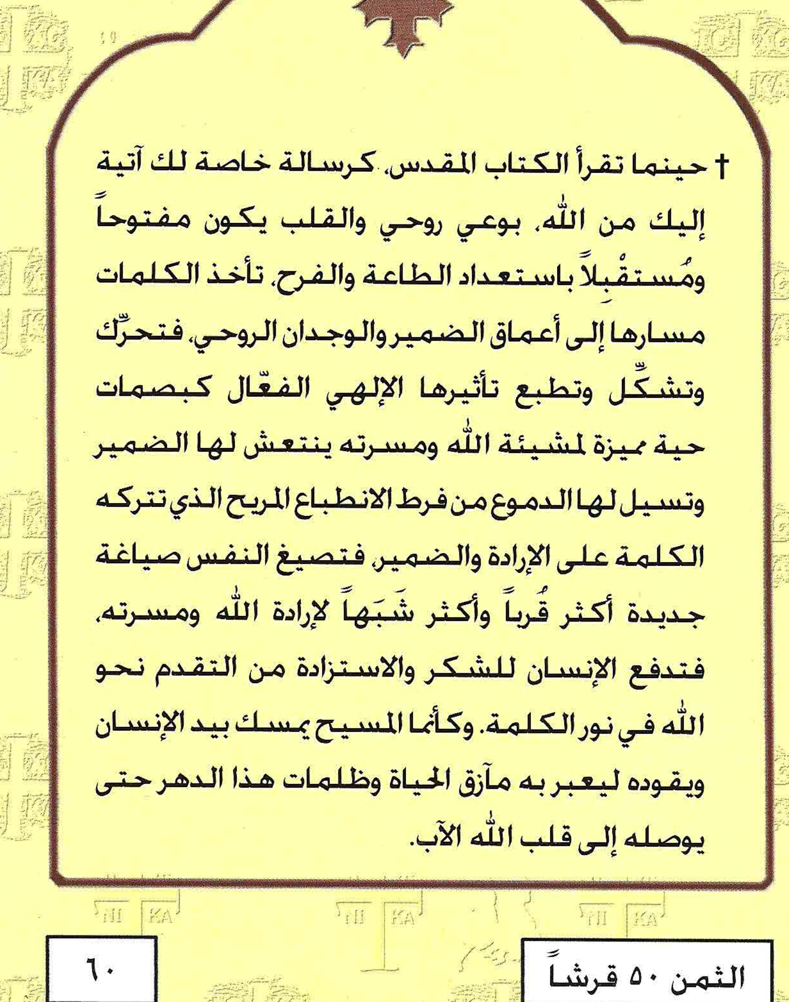
الدرجة الثالثة: حينما يكون **وعي الروح نشيطاً جداً** والجسد بالتالي معزولاً إلى حد ما وغير متداخل لا بالحواس الفكرية ولا

بالحواس الجسدية، تدخل الكلمة مباشرة. كروح وحياة، تدخل إلى الوعي الداخلي للإنسان الجديد فتغذيه وتُنْميه وتوصله أكثر فأكثر بمصدر الحياة، فيصير الوعي الروحي واسطة جديدة وقوية فوق العقل لفهم كل شيء في الحياة فهماً جديداً روحياً.

لذلك فالتحكم في نوع القراءة يكاد يمتنع على الإنسان الروحي.

والحاصل أن الوضع الداخلي يفرض نفسه على نوعٍ القراءة؛ ولكن التدرُّب على الدرجة الأولى يرفع الإنسان تلقائياً للدرجة الثانية، وبالمثابرة على الدرجة الثانية تنفتح أمام الإنسان الدرجة الثالثة.





† حينما تقرأ الكتاب المقدس، كرسالة خاصة لك آتية إليك من الله، بوعي روحي والقلب يكون مفتوحاً ومُستقْبِلاً باستعداد الطاعة والفرح، تأخذ الكلمات مسارها إلى أعماق الضمير والوجدان الروحي، فتحرِّك وتشكِّل وتطبع تأثيرها الإلهي الفعّال كبصمات حية مميزة لمشيئة الله ومسرته ينتعش لها الضمير وتسيل لها الدموع من فرط الانطباع المريح الذي تتركه الكلمة على الإرادة والضمير، فتصيغ النفس صياغة جديدة أكثر قُرباً وأكثر شَبَهاً لإرادة الله ومسرته، فتدفع الإنسان للشكر والاستزادة من التقدم نحو الله في نور الكلمة. وكأنما المسيح يمسك بيد الإنسان ويقوده ليعبر به مآزق الحياة وظلمات هذا الدهر حتى يوصله إلى قلب الله الآب.

الثمن ٥٠ قرشاً

(تخفيض خاص للكميات)